حركة البناء الوطني
NATION BUILDING MOVEMENT
Syrian Nation Builders

تقرير جلسة
التنمية الثقافية في سوريا

تأتي هذه الجلسة في إطار مشروع أوسع تعمل عليه حركة البناء الوطني، لبحث أدوار المجتمع المدني في القطاعات المختلفة، والمساحات التي يمكن أن يلعب فيها، نعمل على مسارات التنمية الخمسة (ثقافية، اقتصادية، اجتماعية، سياسية، بيئية)، إلى جانب المدافعة والمناصرة الداخلية والخارجية للقضايا، والعمل على مساحة المصالحات وبناء السلام.

نحاول أن نقرأ الواقع الموجود ضمن هذه القطاعات لرصد الفجوة، ثم تقديم نموذج مع توصيات أو مبادرة لجسر الهوة بين الواقع وما يجب أن يكون عليه، في محاولة لتأصيل دور المجتمع المدني في هذه القطاعات.

في القطاع الثقافي لا نسعى لتطوير شق معين فيه، إنما تطوير المساحة الثقافية بمجملها، وما هي الرؤية العامة للمشتغلين ضمن القطاع الثقافي، وأين يجب أن يتجه، وسبق أن طرحنا عدة عناوين تناولنا فيها الوضع الثقافي، واليوم في هذه الجلسة الرابعة والعشرين من جلسات الأربعاء السوري التي أقيمت بتاريخ 2020/3/4 نحاول أن نتناول الموضوع بطريقة أوسع، وأن نرصد فيه ثلاث نقاط:

- الثقافة وارتباطها بالهوية السورية، وهل المنتج الثقافي أو الحالة الثقافية قادرة على أن تعبر عن هذه الهوية وتعززها؟ أم أن طرح هذه الإشكالية اليوم سيساهم في مزيد من التعقيد بدلاً من الحل، خاصة وأننا نتحدث عن منتجات ثقافية لسوريين مختلفين قد تساهم بترسيخ تشتت هذه الحالة بدلاً من تماسكها.
- أين هم الفاعلين الثقافيين الحاملين للفكر العام بالمجتمع؟ هل هم معتكفين أم خائفين أم غير موجودين؟
- الحالة الاقتصادية تطرح نفسها أيضاً، هل العمل بالمجال الثقافي قادر على أن يطعم المثقفين خبزاً؟ أين إنتاجهم؟ وهل هم قادرين على نشره؟

❖ بدأ القسم الأول من الجلسة باستعراض سريع لبحثين من إنتاج مؤسسة اتجاهات – ثقافة مستقلة، تحمل العناوين التالية:

- الآليات الثقافية والإنتاج الثقافي في فترة الأزمة: سوريا، والعراق، ولبنان.
- دور الثقافة والفنون في تحقيق المصالحة والسلم الأهلي في الدول التي شهدت نزاعات عنيفة.

ثم استعراض بانوراما سريعة للوضع الثقافي في سوريا خاصة بعد الأزمة، والذي يتمثل بمجموعة مبادرات ثقافية ضعيفة لعدم اهتمام الناس بالثقافة كأولوية خلال الحرب، مقارنة بالالتفات إلى تأمين الاحتياجات المعيشية الضرورية، وخلال السنوات الثلاث الأخيرة بدأت تظهر مبادرات ثقافية لكنها أهلية صغيرة، تبدأ وتنتهي بانتهاء مدة المبادرة أو صلاحية الفكرة.

ما تزال الحالة الثقافية في سوريا ضيقة وضعيفة جداً وتحتاج إلى تنظيم، مع أهمية التركيز على أن الحل الحقيقي للبلدان التي تعاني أزمات وتسعى للخروج منها هو بالاهتمام بالعمل الثقافي.

ونخشى في سوريا أن ننجرف بعد الحرب باتجاه التجربة العراقية، حيث أصاب الثقافة هناك وهن كبير وتضررت كثيراً وانحسرت بشكل ملحوظ، بينما نتمنى أن نحذو حذو التجربة اللبنانية، حيث الانفتاح الثقافي الكبير وزيادة المنتجات الثقافية كماً ونوعاً بعد الحرب الاهلية التي عانوا منها.

تلا ذلك فتح باب النقاش وخلاله تم استعراض **الوضع الثقافي السوري على النحو التالي:**

الوضع الثقافي قبل الحرب:

- وصلت الثقافة في سوريا إلى مستوى كبير، سواء من حيث الانتاج الأدبي في الرواية أو القصة القصيرة أو الاعمال المقدمة على المسارح والتلفزيون.
- على الرغم من هذا الكم الكبير من الإنتاج إلا اننا لا نجد له أي تأثير على الأرض، ومعظم المطبوعات رغم فرادتها لا أحد يعرف بها أو يقرأها أو يتحدث عنها.
- كثرة المظاهر الثقافية لا تعني أننا نعيش دور ثقافي حقيقي، فالبرامج في المراكز الثقافية 70% منها فنية و10% منها تكريم.
- نوعية الثقافة التي كانت قبل عام 2011 ثقافة ملتزمة نتيجة تأثرنا بما ورثناه عن الاتحاد السوفييتي، هذه الثقافة الملتزمة قصقصت أجنحة الابداع والحرية الثقافية.
- قبل الحرب كانت طلائع البعث والشبيبة هما المتحكمان بوضع اللبنة الأولى للثقافة في حياة اليافعين، عبر مسابقات وآليات رقابة وتدقيق، وقد نجحت بنسبة كبيرة، ولكن توغلها بالحركة القومية بشكل زائد أدى إلى عزوف الناس عن هذه الحالة ككل.

الوضع الثقافي بعد الحرب:

- بعد عام 2011 سافر الكثير من الكتاب إلى خارج البلاد، إلى جانب غياب واضح لدور النقاد.
- تقييد الثقافة واضح جداً الأمر الذي يعني تقييد الانفتاح.
- أصبح لدينا أزمة هوية، وظهور هويات جديدة وتغيير للهويات السائدة لبعض المناطق، وذلك لعدم وجود هوية قوية بالمقام الاول، لو كانت قوية ما استطاع أحد العبث بها أو استبدالها.
- جمعية العاديات تكاد تكون الجهة الوحيدة القادرة على جمع النخب الثقافية المتبقية في البلد.
- أصبح الفيسبوك وسيلة لنشر الثقافة، وتبع ذلك سلبيات كثيرة من إبراز نماذج غير ذات قيمة والتف حولها عدد كبير من الجماهير.
- اتضح بعد الحرب أننا لم نكن نملك أو نبني ثقافة حقيقية، ورغم مستواها الكبير الذي وصلت إليه تبين انها ليست قوية.
- بعد عام 2011 أصبحت كل المنتجات الثقافية تعبر عن ثقافة الحرب، وهذه الحالة يجب أنو نقاومها، نمط الخطاب الثقافي كله حرب وشكر لجهات معينة.

إشكاليات الوضع الثقافي:

- المثقفين -رغم قلة نشاطهم- إلا أنهم لم يغيبوا عن الساحة الثقافية، ولهم حضورهم عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

- في إحدى الفترات تألق عمل المنتدى الاجتماعي كمساحة تجمع طبقة مميزة من المثقفين، ولكن اليوم هناك ضعف كبير فالبعض من هؤلاء سافر وآخرون اعتكفوا لأسباب سياسية أو منعوا عن مزاولة نشاطهم.
- يحتاج المنتج الثقافي الجيد إلى هامش كبير من الحرية، وفي الحروب ينخفض سقف الحريات، بالتالي غاب شرط الإبداع لدى المثقفين.
- المنتج الثقافي انعكاس للوضع الواقعي، وحين لم يجد المتلقي منتجات تعبر عن الحالة الواقعية التي يعيشها خاصة في بداية الحرب، أصبح هناك انفصام بين المشاهد والمنتج، وحين بدأ المعنيون بصناعة منتج ثقافي شبيه بالواقع بدا وكأنه فج ومسيس.
- حتى تنتشر الثقافة لا تكفي الحرية إنما أيضا الحالة الاقتصادية، فالناس تسعى أولا لتأمين أسس المعيشة، ما أدى إلى الانعكاف عن أي نشاط ثقافي، سواء من قبل الكتاب او الجمهور، باستثناء من يمتلك حباً شديداً للثقافة فسيحافظ على اهتمامه.
- هناك حالة من اللامبالاة التي تعتري شرائح كبيرة من الناس، ولكنها أخطر ما تكون إن أصابت أولئك الذين يمتلكون هم وطني حيث يشعرون بعدم جدوى الانخراط بالنشاط الثقافي أو حتى إنتاج أي شيء.
- هناك مشاكل كبيرة بالتسويق، فرغم وجود أفلام أو مطبوعات سورية مميزة ولكن لم يسمع أحد بها.
- هناك شغف واهتمام بالسينما وخاصة من قبل الشباب، وفي كل عام يتم إنتاج أفلام سينمائية ووثائقية جميلة، ولكن لا أحد يراها، السينما السورية منسية ويبدو أن هناك من يتعمد تخبئة الفيلم السوري.
- نمتلك في سوريا فناً مهماً يسمى بالفن شعبي، وهو يمثل مساحة تواصل وتأثير كبيرة بالشارع، ورغم جماليته وتميزه في فترات سابقة، إلا أنه بدأ بالهبوط لمستوى متدني في السنوات الأخيرة، وتساهل الكثير بالعبث به.
- الثقافة تقوم على الذائقة الجمالية وهدمها أسهل من بنائها بكثير.
- مواقع التواصل الاجتماعي تهدم أكثر مما تبني، أصبحت غاية أكثر منها وسيلة، الأمر الذي يؤدي الى هدم الذائقة الفنية والجمالية دون رقيب عليها أو ضابط.
- وصلت بعض المؤسسات الثقافية السورية إلى القمة في فترات سابقة، ولكنها وصلت لوحدها بدون جمهور أو داعمين أو أثر، ولم يعد في وسعها البقاء في القمة، خاصة أمام حدوث انفجار بوسائل الحصول على المعرفة.
- يرى البعض أن الحالة الثقافية تحتاج إلى تأطير وتوجيه وإلى من يأخذ بيدها، في المقابل يرى آخرون أن أكثر ما تحتاجه هو الانفتاح والتحفيز.
- تعاني المراكز الثقافية من ضعف إمكانياتها لدعم مختلف أشكال الثقافة، فلا يوجد لدينا مراكز ثقافية مجهزة لتكون مسارح، ودائماً تتحجج الوزارة بأنه لا يوجد إمكانات مادية رغم أننا نرى بذخ مادي كبير على فعاليات غير ذات أهمية.
- للأسف أن أكثر ما يهم وزارة الثقافة هو عدد الفعاليات والمطبوعات وليس الأثر.
- الواقع الثقافي حتى قبل الحرب هو بأزمة، واليوم تفاقم بسبب الوضع الاجتماعي والاقتصادي.
- هناك بعض المبادرات لبيع كتب مهمة جداً بأسعار رمزية (50 ليرة)، ولكن الاقتناء بسعر رخيص لن يصنع ثقافة.

- الهوية الثقافية والذائقة الفنية في خطر، فحين نجد شخصاً يكتب بلا قيمة وله عدد كبير من المتابعين هذا يعني أن هناك مشكلة بالذائقة الفنية بالبلد، والسؤال هنا: أين النموذج الآخر الجيد؟ وتحفيزه على الإنتاج والإبداع مسؤولية الحكومة أم مسؤولية مجتمعية؟
- يرى البعض أن الدولة هي الموجه الأساسي للثقافة، بينما يرى آخرون أن الدولة ليست الموجه لانها لا تملك مشروع اساسا لتقوم بالتوجيه تبعاً له.
- المسرح القومي لديه مشاكله حتى قبل الحرب، فما بالكم بما بعد الحرب حيث زادت المشاكل الاقتصادية، ولا يوجد تشجيع معنوي أو مادي للفنانين ليأتوا اليه.
- التراث شكل من أشكال التعبير الثقافي الشفهي، يتضمن نص ولحن وموسيقا، يرى البعض أن العبث فيه خط أحمر لا يجوز بأي حال تجاوزه وإلا سيبدأ الجميع بالعبث بالتراث والهوية وتغييرها، بينما يرى آخرون أنه يمكن تحديثه وتطويره والإضافة عليه بهدف ترغيب الجماهير بالاستماع إليه منعاً من انقراضه.
- احيانا كسر التابوهات يُحدث صدمة للمتلقي، وله أثره الإيجابي ولو بعد حين، لأنه يجعل الناس تعيد التفكير. بينما يؤكد آخرون أن كسر التابو تابو، فلو كان من يدعي إحياء التراث يقدم لحناً جميلاً لم نكن لنعترض، ولكنه يقدم مضمون سيء، ما يؤدي إلى تشويه التراث المعبر عن الهوية.
- يجب أن نميز بالتراث بين أمرين: التوثيق لأجل الحفظ، وبين الإحياء لإعادة تقديم شيء مختلف.
- من المهم على الجهات المعنية بالشأن الثقافي الاعتراف بأخطائها في السير بسياسات غير ذات جدوى، وإعادة تصويب الوضع.
- هناك اشكالية متعلقة بتراخيص المنتديات الثقافية، لأنها ترخص من وزارة الشؤون الاجتماعية على انها جمعية رغم انها يجب ان تتبع وزارة الثقافة.
- رغم أهمية استثمار القطاع الخاص بالشأن الثقافي إلا أن هناك تجارب غير ناجحة له، كما حدث في تجربة (سينما سيتي)، أصبحت عمل تجاري بحت وليس بمتناول الشعب. ويرى البعض أن القطاع القطاع الخاص أكثر ما يستثمر بالثقافة الهابطة سريعة الربح، والعتب على وزارة الثقافة التي لا تشجعه على الاستثمار أو تساعده في ذلك.
- استثمر القطاع الخاص بالدراما ونجح في ذلك وحقق أرباح، لماذا لا يستثمر بالسينما رغم قدرته على تحقيق أرباح أيضا؟
- ما يحصل بالمراكز الثقافية حالة منفصلة عن الشارع وعن المثقفين، حيث تقدم فيها بعض الفنون الأدبية ولكن الشارع يغوص بالجهل، وهي تغرد وحيدة.
- طريقة التوزع الجغرافي للمراكز الثقافية بدمشق بحيث تغطي كل المناطق هو دليل على أن الهدف احداث تنمية بكل منطقة، ولكن حين لا يدخل اهالي كل حي الى مركزهم فهذا دليل على وجود مشكلة يجب تشخيصها ومعالجتها.
- دور الفنان أن يقرأ الواقع وينتقده، لايوجد مكان مستقل ليعبر الفنان عن نفسه وبيئته سوى بدور الثقافة الرسمية لها اجندتها واطارها العام، والتي قد لا يشبه ما يرغب المثقفين وخاصة الشباب منهم في تقديمه فيهربوا منها.
- النخب تاريخياً معرضة للابتلاع لانهم قلة، يبتعلهم الجمهور الاقل ثقافة ومعرفة لانهم الاكثر عددا وتزيد هذه الحالة في الحروب.
- لا يوجد ثقة بين القارئ ودور النشر التي يراها تعمل لمصلحة مادية فقط.

- المجتمع السوري ولاد، ويجب ان نعيد صناعة قامات ثقافية جديدة.
- في الثقافة من المهم التركيز على أهمية الكم والنوع والانتشار، اما الكم وحده هو وهم بالمعرفة وليس معرفة.

نتائج وتوصيات:

- أن يقدم بكل مركز ثقافي مضمون محلي مرتبط بخصوصية المكان وأهله وطبيعته، أي توطين التنمية الثقافية وجعلها محلية أكثر سواء بالمركز الثقافي أو بالمدرسة.
- أن يكون لكل مركز ثقافي فرقة فنون خاصة به تقدم غناء ومسرح وفنون محلية منوعة كم تفعل فرقة القدموس على سبيل المثال.
- تعزيز عمل المواقع والصحف المحلية لتركز على نقل هموم المحليات وأن تأخذ منها تركيز ومساحة أكبر من الأخبار العامة.
- على المراكز الثقافية أن تحمل هموم الحي وتاخذ على عاتقها معالجتها، فحتى حل هذه المشاكل هو بحد ذاته ثقافة.
- تشجيع الاستثمار بالثقافة، وتحفيز القطاع الخاص للمشاركة والاستثمار بالقطاع الثقافي ودعم الفرق والمشاريع والمبادرات الثقافية من باب المسؤولية المجتمعية له.
- أن يكون المثقف قريب من الشارع ومعبر عن همومه.
- العمل على الارتقاء بالثقافة الشعبية العامة خاصة بعد انهيارها الملحوظ إلى مستويات متدنية، وذلك لأهميتها ولكونها الأوسع والأقرب للناس بمختلف شرائحهم، وهنا لا نتحدث عن ثقافة النخب ولا ثقافة الشارع، إنما تلك الثقافة العامة ذات القدرة العالية على التأثير.
- الحرية مهمة ولكنها وحدها غير كافية، الأمر يتطلب من المثقف الاحتيال بذكاء لاستغلال المساحات المتاحة والعمل ضمنها، مثال على ذلك تجربة إيران السينمائية المميزة والتي أصبحت عالمية وذات قيمة فنية عالية بالنص والصورة والاخراج رغم ضيق هامش الحرية امامها.
- العمل على تحفيز النخب الثقافية للخروج من الحالة السكونية والاستمرار بالعمل رغم كل الظروف الصعبة، للنهوض مرة أخرى بالذائقة الفنية والجمالية.
- تحفيز المراة ودعمها للاستمرار بالعمل الثقافي والذي أثبتت أنها الأكثر فاعلية فيه خاصة خلال الحرب.
- العمل على استقطاب الشباب من الأمور المهمة جداً، وخلق مساحات وفرص يمكن لهم من خلالها أن يعبروا عن أنفسهم بأريحية أكثر من الأنماط التقليدية للثقافة.
- على المدني أن يركز جهوده في تحصيل حقوق الملكية الفكرية للمثقفين ونتاجهم، عبر حملات مناصرة لذلك، الأمر الذي سيؤدي بالنهاية إلى حماية التراث الثقافي الخاص بكل منطقة، وكذلك المنتج الثقافي للفرد، وهذا يحتاج لوعي كبير وإلى المواءمة بين الجانب الربحي وبين أهمية نشر الثقافة.
- التأكيد على أن المشاركة بالثقافة الشعبية إنتاجاً وحفظاً وتسويقاً يمكن لها أن تساهم في إبراز شخصيات محلية مؤثرة بالناس، وقد يصل هؤلاء لاحقاً إلى مراكز صنع القرار فقط بالقاعدة الشعبية التي امتلكوها.
- لا مانع بأن يتحقق (الفن للفن) أو (الفن الهادف) معاً، وأن يكون الفن حامل للمتعة والرسالة بذات الوقت، وأن يكون حالة جامعة للناس.

- التركيز على الثقافة كعلم، خاصة بعد أن ارتفعت نسب الجهل والامية في سوريا، إلى جانب تدني المستوى الثقافي العام حتى لدى المتعلمين.
- البحث عن مصادر المعرفة الأساسية التي يلجأ إليها السوريين لاستقاء الاخبار والمعلومات المختلفة، والمساهمة بارتقائها لقدرتها على التأثير على شرائح كبيرة من الناس.
- تشجيع الفن التراثي والمساهمة بحفظه وإحيائه، والوقوف بصرامة أمام محاولات تشويهه أو سرقته.
- تشجيع الاهتمام بمختلف الجوانب الثقافية، وليس الاهتمام بجانب على حساب آخر.
- التركيز على اللغة العربية، والتي تعاني من ضعف وإهمام رغم أنها الحامل الرئيسي للثقافة.
- تعزيز التواصل الثقافي مع لبنان ومحاولة الاستفادة من تجربته الثقافية المتقدمة والاحتذاء بها.
- على المجتمع المدني أن يبذل جهود مكثفة لإدخال ثقافة السلام إلى المجتمع السوري بكل فئاته.
- العمل على خلق مبادرات ضمن القطاع الثقافي، سواء مبادرات باتجاه الناس اللامبالية أو باتجاه المثقفين المستكينين، باستخدام أدوات جديدة، وعلى كافة المجالات الثقافية.
- مساعدة وتحفيز الأشخاص الراغبين بالخوض في المجال الثقافي والعاجزين عن ذلك بسبب عدم امتلاكهم الأدوات أو المساحات أو الفرص رغم حماسهم وغيرتهم على الثقافة والهوية السورية، أما أولئك اللامبالين فلا يعول عليهم.
- تشجيع الجمهور المتلقي لأي نوع ثقافي للمساهمة بنشر ما تعلمه أو شاهده او قرأه ليصل إلى شريحة اوسع.
- الحرية الثقافية مرتبطة بالحرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية الموجودة بالبلد، وكلما كان هناك هامش حرية أكبر كان هناك محرك إبداعي أكبر، وليس فقط بالثقافة وإنما أيضا بالعلوم التطبيقية، وغياب الحرية يؤدي إلى قلة الانتاج بكافة المجالات.
- طالما أننا نعتبر الثقافة تأتي بعد الاحتياجات الاساسية للانسان بأشواط، سنبقى ندور في حلقة مفرغة دون أن نصل لشيء، الثقافة موضوع حساس يمكننا عبرها أن نحل كل شيء دون مبالغة.
- أهمية التسويق للفعاليات والبرامج والمنتجات الثقافية على اختلافها.
- لا يجب أن تقتصر نظرتنا على الجانب السلبي في القطاع الثقافي، فهناك تجارب مهمة على الارض وتحاول ترك أثر وقيمة حقيقية، مثال ذلك ما يفعله نادي شام الثقافي من فعاليات مهمة.
- التوقف عن لوم وسائل التواصل الاجتماعي بانحدار القيم الثقافية في سوريا، فالفكرة بالمضمون المقدم وبالمثقفين أنفسهم وبالقيمة التي يحملها نتاجهم، فلو كان الماغوط بيننا اليوم وامتلك منصة الكترونية لأحدثت منشوراته الساخرة ثورة حقيقة.

حركة البناء الوطني